

الجنـدر والإرهاب: ديناميات العنف الرمزي وإعادة تشكيل الهوية الاجتماعية

Gender and Terrorism: Dynamics of Symbolic Violence and the Reshaping of Social Identity

حياة معوشي^{*1}

¹ جامعة 8 ماي 1945 قالمة (الجزائر)، Maouchi.hayat@univ-guelma.dz

تاريخ النشر: 2026/04/12

تاريخ القبول: 2026/02/15

تاريخ الاستلام: 2025/10/28

ملخص: تهدف هذه الورقة البحثية إلى تحليل العلاقة المركبة بين الجنـدر والإرهاب بوصفهما بنيتين متداخلتين في إنتاج العنف الرمزي وإعادة تشكيل الهوية الاجتماعية. فالإرهاب لا يُختزل في بعده الأمني أو السياسي، بل يتجلى كآلية رمزية تعيد إنتاج أنماط الخضوع الجنـدري والتراتبية الاجتماعية. بالاستناد إلى أطروحات بتلر وفوكو وبوردو وبودريار، تبين الدراسة أن الخطاب الإرهابي يُعيد تعريف الأدوار الجنـدرية من خلال التحكم في المعنى والخوف، ما يجعل من الجسد والرمز أدوات لإدامة السيطرة الثقافية والسياسية. وتخلص الورقة إلى أن فهم الإرهاب المعاصر يستوجب قراءة جنـدرية تتجاوز التحليل الأمني نحو مقارنة سيميائية للبنى الاجتماعية.

كلمات مفتاحية: الجنـدر، الإرهاب، العنف الرمزي، الهوية، الثقافة.

Abstract:

This paper analyzes the complex relationship between gender and terrorism as intertwined structures in producing symbolic violence and reshaping social identity. Terrorism is not confined to its political or security dimensions but emerges as a symbolic mechanism that reproduces gendered subordination and social hierarchy. Drawing on the perspectives of Butler, Foucault, Bourdieu, and Baudrillard, the study demonstrates how terrorist discourse redefines gender roles through the manipulation of meaning and fear, turning the body and the symbol into instruments of cultural and political domination. It concludes that understanding contemporary terrorism requires a gendered perspective that transcends security analysis toward a semiotic reading of social structures.

Keywords: Gender; Terrorism; Symbolic Violence; Identity; Culture .

*المؤلف المرسل

1. مقدمة:

في ظل التحولات العميقة التي يشهدها العالم المعاصر، برزت إشكالات فكرية ومفاهيمية عديدة ضمن تحليل الخطابات السياسية والاجتماعية الراهنة، من أبرزها مفهوم الجندر والإرهاب. وقد تزامن حضورهما مع دور متزايد في إعادة تشكيل البنى الاجتماعية، بما يتجاوز القراءات الكلاسيكية نحو أبعاد رمزية وفلسفية جديدة.

إن ما يجعل الجندر والإرهاب موضوعًا خصبًا للتحليل الفلسفي هو طابعهما المزدوج: فهما في آنٍ معًا واقعتان اجتماعيتان وسياسيتان، وخطابان رمزيان يتجاوزان التجربة المباشرة إلى إنتاج معاني وتمثيلات تُعيد تشكيل العالم الاجتماعي.

فالجندر لم يعد يُفهم كتصنيف بيولوجي ثابت، بل صار أداة لإعادة إنتاج أنماط السلطة داخل الخطاب الاجتماعي، وهو ما أكدته جوديث بتلر من خلال مفهوم الأداء الجندي، حيث تتحول الهوية الجندرية إلى فعل متكرر يُعيد إنتاج بنية الهيمنة الثقافية. وبالمثل، لم يعد الإرهاب يُقرأ كحدث عنفي معزول، بل كأفق رمزي يشتغل من خلال المحاكاة والتداول الإعلامي، على نحو ما بلوره جان بودريار في تحليله لمحاكاة العنف. وهكذا يتقاطع المفهومان في كونهما آليتين لإعادة إنتاج العنف الرمزي داخل المجتمع.

أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في تفكيك الأبعاد الرمزية للجندر والإرهاب، والكشف عن آليات صياغة البنى الاجتماعية من خلال أدوات الهيمنة والعنف الرمزي، بما يتيح إعادة النظر في علاقة الفلسفة بالممارسات السياسية والاجتماعية المعاصرة.

إشكالية الدراسة:

إن الإشكالية التي نقترح معالجتها تتمحور حول: إلى أي حد يشكل هذا التداخل بين الجندر والإرهاب قوةً تعيد تكريس أنماط العنف الرمزي والهيمنة، أم أنه يفتح المجال أمام تشكّل أنماط جديدة من التفاعل الاجتماعي تعيد رسم ملامح البنية الثقافية والسياسية المعاصرة؟

منهج الدراسة:

للإجابة عن هذه الإشكالية، نعتمد المنهج التحليلي-التفكيكي الذي يتيح مساءلة المفاهيم في أفق ما بعد حدائي، عبر توظيف مقاربات ميشال فوكو، جوديث بتلر، جان بودريار وبيار بورديو. وتنطلق فرضيتنا من أن العلاقة بين الجندر والإرهاب ليست علاقة تقاطع عرضي، بل هي جدل رمزي يكشف عن آليات خفية لإنتاج وإعادة إنتاج الهيمنة داخل البنى الاجتماعية والثقافية.

محااور الدراسة:

تتوزع الدراسة على ثلاثة محاور مترابطة:

المحور الأول (الجنود كرمز):

نفترض أن الجنود لا يقتصر على كونه تقسيمًا اجتماعيًا للأدوار الجنسية، بل يتجلى كأداء رمزي يمارس فعل السلطة، على نحو ما بلورته جوديث بتلر في مفهوم الأداء الجندي، وميشال فوكو في تحليله لخطاب السلطة والمعرفة.

المحور الثاني (الإرهاب كرمز):

نعتبر أن الإرهاب لا يمكن اختزاله في صورته الكلاسيكية كفعل عنفي مباشر، بل يتموضع في بعد رمزي يتجلى من خلال المحاكاة كما عند جان بودريار، أو عبر العنف الرمزي كما عند بيار بورديو، بما يكشف أن الإرهاب يُنتج داخل الحقول الاجتماعية والثقافية بآليات تتجاوز الحدث إلى الخطاب والتمثيل.

المحور الثالث (العلاقة بين الجنود والإرهاب في تشكيل البنى الاجتماعية):

يسعى إلى اختبار فرضية التفاعل الجدلي بين الجنود والإرهاب، حيث يُوظف الجنود كأداة رمزية للإقصاء والسيطرة، في حين يُستثمر الإرهاب كآلية لإعادة إنتاج أنماط الخضوع والهيمنة، بما يسمح بفهم كيف تتداخل الأيديولوجيات الاجتماعية والسياسية لتشكيل أنماط جديدة من التفاعل الاجتماعي.

هدف الدراسة:

نهدف من خلال هاته الدراسة أن نفتح النقاش الفلسفي حول مفهومي الجنود والإرهاب لا باعتبارهما مجرد وقائع أنية، بل كرموز تعكس ديناميكيات السلطة في زمن تتجاوز فيه الظواهر حدودها الواقعية لتتشكل كخطابات وأنظمة رمزية.

2. الجنود كرمز:

لم يعد الجنود في التحليلات المعاصرة مجرد توصيف بيولوجي يميز بين الذكر والأنثى، ولا مجرد تقسيم اجتماعي للأدوار والوظائف، بل تحوّل إلى بنية رمزية معقدة تُنتج الهوية وتعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية ضمن شبكات السلطة والتمثيل. فالجنود بهذا المعنى ليس معطًى طبيعياً أو ثابتاً، بل هو ممارسة رمزية تُؤطر التوقعات داخل الفضاء العمومي والخاص، وتعيد إنتاج آليات الإقصاء والهيمنة. من هنا يُطرح التساؤل الجدلي: إلى أي حد يمكن النظر إلى الجنود كرمز فاعل يُعاد إنتاجه داخل البنى الاجتماعية والسلطوية، لا كمجرد انعكاس للتمايز البيولوجي أو للأدوار الاجتماعية التقليدية؟ وهل يشكّل هذا التحوّل أفقاً لتحرير الهويات أم أنه يرسّخ أشكالاً جديدة من الهيمنة؟.

1.2 مفهوم الجندر:

إن التعريف القاموسي الأولي لمصطلح الجندر يفرض معنيين أساسيين: "حقيقة كون الفرد ذكرًا أو أنثى"، و"(في النحو) تصنيف الأسماء والضمائر إلى مذكر، مؤنث ومحايد"¹ ويعكس هذا التعريف الرؤية التقليدية التي تربط الجندر مباشرةً بالجنس البيولوجي (ذكر/أنثى)، كما يبرز حضوره في اللغة بوصفه تصنيفًا نحوياً محدّدًا لفئات الأسماء والضمائر. غير أنّ العودة إلى المعاجم الفرنسية تكشف عن أصول المصطلح في كلمة *genre*، التي استُعملت بدايةً للدلالة على ما هو مشترك بين عدّة أنواع، أي باعتباره تصنيفًا منطقيًا أو عامًا يندرج تحته فروع أو أنواع متميزة، كما ارتبط أيضًا بمعنى "الأسلوب" أو "الطريقة"، مثلما في التعبير "كامل في نوعه". وقد جاء في معجم الأكاديمية الفرنسية²: "تحت جنس الحيوان، توجد نوعان مختلفان: الإنسان والحيوان. كما يدلّ أيضًا على الصنف أو الكيفية: هذا ممتاز في نوعه، كامل في نوعه"

من هنا يمكن أن نفهم كيف انتقلت كلمة *genre* تدريجيًا من معناها التصنيفي العام إلى معناها الحديث المرتبط بالهوية الجندرية (*le genre social*) وفق تحول كرونولوجي من البيولوجيا إلى السوسيولوجيا.

إذ يعود توظيف (الجندر) عياديا عام 1955 بالولايات المتحدة الأمريكية من طرف عالم النفس *John Money* ثم الطبيب النفسي *Robert Stollar* من خلال الفحص الهرموني للجنس في سياق تحليل الهوية الجنسية بعيدا عن الجنس البيولوجي، أي التقسيم الثنائي بين الذكر والأنثى الذي يخلق نوعا من الاشكاليات، فاقترح *Money* استبداله بالنوع الاجتماعي.³

وعليه، فإن الجندر كمفهوم لا يُختزل في بعده البيولوجي، بل يتجاوز ذلك ليحمل دلالات نفسية وثقافية واجتماعية متشابكة، ما يجعله أفقًا رمزيًا لفهم آليات السلطة وإعادة إنتاجها. فكنظرية، يُعدّ الجندر امتدادًا مباشرًا للمقولات الفلسفية لما بعد الحداثة، التي تلتقي معه في نقدها للثنائيات الجوهرانية التي حكمت التصورات الحداثيّة للهوية والاختلاف. وإذا كان الفكر الحداثي قد أقام ثنائية صارمة بين الذكورة والأنوثة، فإن ما بعد الحداثة – بما تحمله من نزعة تفكيكية – ترفض هذه الأسس الصارمة، بما يتطابق مع ما يشير إليه "قاموس كامبردج للفلسفة" في تعريفه الموجز: "الفلسفة ما بعد الحداثيّة تعارض عادةً الأسس الصارمة، والجوهرانية، والواقعية"⁴

استنادًا إلى هذه المسلمة، ترفض نظرية الجندر اختزال الهوية الجنسية في جوهر طبيعي ثابت، لتكشف أنّها نتاج خطابات اجتماعية وثقافية، تتغير وفق السياقات التاريخية والسياسية. ومن هنا نفهم لماذا

يُحيل "قاموس كامبريدج للفلسفة" القارئ في مدخل "نظرية الجنـدر" إلى ما بعد الحداثة مباشرةً عبر قوله: "نظرية الجنـدر: انظر ما بعد الحداثة"⁵ فالإحالة ليست مجرد توجيه تقني، بل تعكس عمق الترابط بين المشروع النقدي لما بعد الحداثة وبين نظرية الجنـدر، باعتبارهما معاً يسعيان إلى تفكيك بنى السلطة والمعنى والهوية.

لكن المفهوم لم يبقَ حبيس التنظير الفلسفي، بل سرعان ما تحوّل إلى حركة اجتماعية-سياسية اكتسبت زخمًا عالميًا، خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، حين أعيد التفكير في مفاهيم الهوية والحرية والمساواة. ومع السبعينيات، تبنت الحركات النسوية مصطلح "الجنـدر" كورقة نقدية رابحة ضد البنى الاجتماعية الذكورية.⁶ مما فتح آفاقًا جديدة لإعادة صياغة العلاقة بين السلطة والجسد والهوية. لقد أصبح "الجنـدر" عندئذ ليس مجرد مصطلح أكاديمي، بل أداة سياسية ورمزية تُستخدم لزعزعة أنماط الهيمنة وتحدي السلطة البطريركية.

كما توسع المفهوم اجتماعيًا مع التحولات الكبرى في المواقف الدولية من قضايا الجنسانية. ففي عام 1973 أدرجت منظمة الصحة العالمية المثلية الجنسية في خانة "الاضطرابات النفسية"، لكنها عادت عام 1990 لتلغي هذا التصنيف نهائيًا، وهو ما عُدَّ انتصارًا لحركات الدفاع عن حقوق المثليين ومؤشرًا على التحول في فهم الهوية الجنسية بوصفها متعددة ومتغيرة. وقد ساهم هذا القرار في تعزيز موقع الجنـدر كمفهوم مركزي في النقاشات الحقوقية والاجتماعية.

وبالتوازي، بدأ المفهوم يتغلغل في السياسات العمومية، خاصة مع إدراج مصطلح "الاندماج الجنـدري" (Gender mainstreaming) في المنظومة التربوية الأوروبية منذ عام 1977⁷ حيث جرى توظيفه كأداة لإعادة هيكلة البرامج التربوية والسياسات الاجتماعية على أساس المساواة الجنـدرية. هذا الإدماج لم يكن مجرد إجراء إداري، بل خطوة رمزية أكدت أنّ الجنـدر أصبح إطارًا تحليليًا وميدانيًا لفهم وإعادة تشكيل البنى الاجتماعية.

وعليه، هذا المسار من التنظير الفلسفي إلى الممارسة الاجتماعية والسياسية يكشف أنّ الجنـدر ليس مجرد انعكاس للهوية الجنسية، بل هو مفهوم إجرائي يتجاوز الفرد إلى البنية، ويتجاوز البيولوجيا إلى الثقافة، ويتجاوز الوصف إلى النقد والتفكيك. وبهذا المعنى، يغدو الجنـدر أداة لفهم علاقة السلطة بالهوية والتمثيل، ومفتاحًا أساسيًا لإعادة التفكير في أنماط العيش الجماعي في عصر العولمة والتحولات الرمزية.

2.2 الجندر الرمزي:

أعطت جوديث بيترلر (1956) (Judith Butler) لمفهوم الجندر بعداً رمزياً اجتماعياً يتجاوز التحديد البيولوجي، انطلاقاً من أن كينونة الجندر تفرض تحديات الأقليات الجنسية لا مجرد اعتراف جندري وهوية جنسية، لذا فهي تقدم نقداً جذرياً للهوية الجندرية التي تؤسس لها خطابات الإعلام والانتاج الاقتصادي وحتى البنى اللغوية التي تروج إلى براديغم موحد للهوية الجندرية. هذا هو التوافق الرمزي الاجتماعي الذي يدعم التفاعلات الهيكلية، فجوديث تحاول تأسيس الجندر كدور اجتماعي بنفس الطريقة وذات الأدوات من لغة، أداء اجتماعي وسياسي وممارسات يومية تفتح المجال للجندر اللا بيولوجي.⁸

حسب جوديث تتجاوز اللغة الطرح التواصلي إلى التعبير الجندري عند استخدام الضمائر الواصفة للذكر والأنثى وفق تعبير ثقافي يؤسس لجندر تقليدي تصنيفي لا غير، وبذلك يصبح هذا التكرار اللغوي فعلاً جندرياً ضمن السياق الاجتماعي، لذا تقترح تجاوز -وبذات الأداة (اللغة)- الجندر التقليدي إلى جندر رمزي وفق صياغات حيادية مثل ضمير "هؤلاء" أو "أنتم" بدل التصنيف التقليدي "هو" و "هي"، لأن اللغة وفق هذا المنظور لا تتعدى أن تكون سوى نظام سلطوي اجتماعي يؤسس للجندر الثقافي من خلال صفات الضعف والرقّة للمرأة والخشونة والقوة للرجل. وهنا يظهر الجانب القمعي للغة كبناء رمزي يحكم الجندر كممارسة لا كطبيعة، فنحن كما تقول شيوخة المسيكي: "لا نوجد خارج اللغة التي تهيك لنا، وهو معنى الجندر كمقولة انجازية".⁹

نفس الرؤية ذهب إليها ميشال فوكو (1884-1926) (Michel Foucault)، من خلال مفهوم الجندر كرمز سياسي، رغم أنه لم يتناول المفهوم بشكل مباشر، بل تناوله في سياق تاريخ الجنسانية وعلاقة الجنس بالسلطة والمعرفة، إذ يعتبر الجنسانية ليست مفهوماً طبيعياً فطرياً كما رُجّ له علم النفس الفرويدي، بل هو مفهوم انتاجي ضمن علاقات القوة وأنظمة السلطة. وبذلك الجندر هو مفهوم بنيوي اجتماعي ينتج جراء السياقات الاجتماعية، خاصة أن السلطة هي ممارسة على الهوية والجسد وفق تصنيفات كلاسيكية كالذكر والأنثى وممارسات سلطوية من تعليم، صحة، دين واقتصاد كلها تحدد الأدوار الجندرية وتعيد إنتاجها في سياقاتها الكلاسيكية ضمن ما يعرف بـ "السلطة الانضباطية" من خلال مراقبة الأفراد في مدى احترامهم للقانون الداخلي للسياقات والآليات التي تكون وفق المعايير الاجتماعية.

وهو ما يدعمه فوكو في كتابه تاريخ الجنسانية من خلال محور الفرضية القمعية، أين اعتبر القرن السابع عشر بداية عصر القمع، والجنس انطلق من هذه اللحظة القمعية أيضاً، ويعد بذلك جزء

من أجزاء السيطرة السياسية، وحتى السلوكيات الفردية تم استغلالها كفضية تحكم ضمن الهيكل الاجتماعي "الجنس"، فيصبح ديناميكية رمزية تسهم في تفعيل الهوية وفق نمط محدد سلفاً.¹⁰ يتضح إذًا، وبناءً على ما سبق، يتضح أن مسار الجنس قد ارتكز على ثلاث لحظات أساسية: لحظة التنظير الفلسفي في أفق ما بعد الحداثة، حيث تم تفكيك الثنائيات الجوهرانية بين الطبيعة والثقافة، الذكورة والأنوثة؛ ولحظة التوظيف الاجتماعي-السياسي التي جعلت من المفهوم أداة للنقد والمطالبة بالحقوق، خاصة مع الحركات النسوية وما صاحبها من تحولات في القوانين والسياسات؛ ثم لحظة الإدماج المؤسسي عبر المناهج التربوية والسياسات العمومية، حيث تحول الجنس إلى أفق لإعادة بناء أنماط الحياة الجماعية. غير أن هذا التحول لم يلغ طابعه الجدلي، بل فتح الباب أمام إعادة التفكير في العلاقة بين الجسد والهوية والسلطة. ومن هنا تبرز أهمية مقارنة جوديث بتلر التي أعادت تعريف الهوية الجنسانية بوصفها "أداءً" (performance) يتجدد عبر الخطابات والممارسات، وهو ما يضعنا في صميم تحليل فوكو للسلطة كإنتاج للذوات والخطابات، أكثر مما هي مجرد جهاز قمعي. بذلك يصبح الجنس مفهومًا كاشفًا عن آليات الضبط الرمزي والهيمنة الناعمة، مما يمهد للانتقال إلى دراسة توائمه مع مفاهيم أخرى كالسلطة أو الإرهاب في تشكيل البنى الاجتماعية.

3. الإرهاب كرمز:

إذا كان الجنس يكشف عن فاعلية الرمزي في تشكيل الهوية وإعادة إنتاج علاقات القوة داخل المجتمع، فإن الإرهاب يعبر عن الوجه الآخر لهذه البنية الرمزية، إذ يتحول بدوره من فعل عنفي مباشر إلى خطاب رمزي يتجاوز أثره حدود الزمان والمكان، ليؤسس لأنماط جديدة من التمثيل والتفاعل الاجتماعي. فكيف انتقل الإرهاب من كونه ممارسة عنفية واقعية تقوم بها الجماعات أو تمارسها السلطة، إلى كونه رمزًا سيميائيًا متغلغلًا في الخطابات اليومية، يُعاد إنتاجه ضمن منظومة اجتماعية وثقافية؟

1.3 مفهوم الإرهاب:

إن الإرهاب في الإشتقاق الفرنسي يعود إلى الكلمة "Terreur" من الفعل "Terror" في اللغة البروفنسالية (الفرنسية القديمة) *La langue provençale* ويعني الرهبة والذعر و *Terreur* تعني توجيه الذعر إلى شخص أو جهة معينة، أما *Terrorisme* كمصطلح يعود ظهوره عام 1794 كنوع من أعمال التهريب النظامية التي تقوم بها الدولة.¹¹

ونجد المعنى الإشتقائي الفرنسي متقارب في القاموس الإنجليزي *oxford*، فكلمة إرهاب *Terrorism* مكونة من مقطعين اثنين: اللاحقة "ism" و الاسم "Terror" بمعنى فزع ورعب والهول الشديد، الإرهاب

مشتق من الفعل **terrorize** أي أرعب و **terrorization** أي بث الرعب بعد الأمن والسكينة،¹² ما يجعل المفهوم يحمل دلالة الإستخدام المتعمد للعنف من أجل نشر الخوف على نطاق واسع.

وعليه، يمكن القول إن الإرهاب في معناه العام كما يظهر في مختلف اللغات الأجنبية، لا يقتصر على كونه مجرد فعل عنف عابر أو رد فعل فردي مرتبط بسياق ظرفي محدود، بل يتمثل في خلق حالة مقصودة ومتعمدة من الرعب والذعر الشديدين. هذه الحالة لا تنشأ صدفة، وإنما تُصاغ عبر أعمال عنف منظمة ومنهجية، قد تنفذها جماعات تمتلك مشروعا سياسيا أو أيديولوجيا، أو قد يباشرها أفراد يتبنون رؤية متطرفة تسعى إلى تقويض النظام القائم أو تحديده.

إن جوهر الإرهاب إذن، يكمن في هذا التلاقي المعقد بين العنف المادي الذي يوقع الخسائر المباشرة في الأرواح والممتلكات، وبين الأثر النفسي الرمزي الذي يتجاوز حدود الفعل الملموس ليطلال الوعي الجمعي ويعيد تشكيله وفق منطق الخوف والتهديد. فالإرهاب ليس مجرد تدمير موضوعي للإنسان أو للبنى التحتية، بل هو عملية "هندسة للخوف" الجماعي، حيث يتحول الرعب إلى أداة وظيفية تُستثمر لتحقيق غايات سياسية أو اجتماعية أو حتى ثقافية.

بهذا المعنى، يصبح الإرهاب استراتيجية مزدوجة:

✓ فهو من جهة أداة للهيمنة والسيطرة حين يُمارَس من طرف سلطة أو نظام، فيتجلى من منظور سلطوي، كآلية فعالة لإنتاج الخضوع عبر هندسة الخوف الجماعي كونه لا يقتصر على ممارسة العنف المادي، بل يتجسد في شكل عنف رمزي منظم يهدف إلى إعادة تشكيل الوعي وفق منطق الطاعة .

✓ ومن جهة أخرى يصبح الخوف المصاحب حالة وجودية يعيشها الأفراد حتى في غياب الخطر الفعلي ليتحول الإرهاب إلى تقنية حكم، لا تعتمد القهر الظاهر فقط، بل تستثمر في اللاوعي الجمعي لتوليد الطاعة الطوعية.

2.3 الإرهاب الرمزي:

على غرار الجندر، يتجاوز الإرهاب تعريفاته المادية التقليدية، ليصبح رمزا يُستخدم لإعادة تشكيل المعاني والهياكل الاجتماعية. يتحول فيها إلى رسالة رمزية تهدف إلى زعزعة استقرار النظام، من خلال فرض أنماط معينة من التفكير.

تحليل قدمه بيير بورديو (Pierre Bourdieu) (1930-2002) من خلال ما سمّاه: "العنف الرمزي"، معتبرا الإرهاب الانفجاري الذي كان عام 2001، دليل أن الهلع الجماهيري ليس لصدمة الفعل في حد ذاته، بل من وراء التأثيرات والتوقعات التي صاحبت الهجوم وفق خطاب ديني، ثقافي واجتماعي بعيدا عن الفعل التدميري، لا سيما في ظل سيطرة الإعلام إلى حد التلاعب بالمفهوم الرمزي الذي يصاحب الفعل الإرهابي ضمن فلسفة التضخيم لأيديولوجيا ما، وهو ما عبر عنه في كتابه: "التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول"، معتبرا الميديا بنية هيكلية تؤثر على ما نعتقد وليس على ما نراه ونشاهده¹³ فحسب بورديو يخلق الإعلام منظومة جديدة من الرموز والمواقف الاجتماعية، فكما رأس المال الاقتصادي يخلق حالة اجتماعية وخطابا اقتصاديا، كذلك رأس المال الثقافي يستخدم الإرهاب كخطاب رمزي ليشكل سياقات مزمنة للفعل الإرهابي.

أما جان بودريار (Jean Baudrillard) (1929-2007)، يرى في الإرهاب "علامة رمزية" تحمل مفهوما راديكالي ضمن فلسفة ما بعد الحداثة، وهو ما جسده كتابه "روح الارهاب" حيث تناول فيه كيفية تحول الإرهاب إلى علامة سيميائية ضد النظام العالمي. مما يفرض أن الإرهاب ليس صراعا أيديولوجيا بل هو استراتيجية رموز متراكمة، ولعل هجمات الحادي عشر سبتمبر نموذج ذلك، فهي تعد ضربة اقتصادية وسياسية للنظام وعنف مضاد اتجاه هيمنة النظام العالمي لا غير.¹⁴

وبذلك يتجاوز الإرهاب الإيديولوجيا والسياسة التقليدية ليستمد طاقته من نزعة تدميرية خالصة، لا تهدف إلى تغيير العالم، بل إلى تحطيمه عبر ما يُسمّى بـ"القضية" يشبهها بودريار بالإرهاب بالفيروس الذي ينتشر في كل مكان بشكلٍ عالمي، وكأنه ظلّ ملازم لأنظمة الهيمنة. فكلما حاول النظام استدعاء أدوات السيطرة لمواجهة الإرهاب، كان ذلك بمثابة دعوة لإحيائه مجدداً.

وفقاً لذلك، يؤكد بودريار أن الإرهاب يمارس "كسرًا رمزيًا" يضرب الثقافة السائدة من الخارج، ويُعيد إحياء الصراع بين المهمشين والمستغلين على الصعيد العالمي، مما يبرز التوتر الكامن في البنى الاجتماعية تحت غطاء الهيمنة.¹⁵

وعليه، تكشف التحليلات المعاصرة أنّ الفعل الإرهابي قد فرغ من مضمونه الواقعي التقليدي، فلم يعد مقصورا على ممارسة العنف المادي المباشر، بل تحوّل إلى شكل من أشكال الكشف الرمزي المحاكي لهيمنة ثقافية شاملة. وهو ما أبرزه بيير بورديو من خلال تحليله للسيميائيات الرمزية للعنف، إذ اعتبر أن القوة الحقيقية لا تكمن فقط في ما يُمارس من أفعال، بل في ما يُعاد إنتاجه داخل البنية الرمزية من تمثيلات ومعاني تفرض أنماطاً معينة من التفكير والوجود. أما جان بودريار، فقد ذهب أبعد من ذلك في

براديعمه الرمزي، حيث أكد أن الإرهاب لم يعد ما يحدث في الواقع فحسب، بل ما يُتداول ويُعاد بثّه عبر وسائل الإعلام بوصفه صورة محاكية تسبق الحدث وتتجاوزه، بحيث تغدو الرمزية أكثر تأثيراً من الواقعية ذاتها.

من هذا المنظور، يغدو الإرهاب نظاماً للعلامات قبل أن يكون نظاماً للأفعال، إذ يتجسد في سرديات وصور إعلامية تعيد إنتاج الخوف وتؤسس لشرعية السلطة أو مقاومتها. ومن هنا يلتقي الإرهاب مع مفهوم الجندر بوصفهما بنيات رمزية متداخلة تُعيد إنتاج علاقات السلطة داخل البنى الاجتماعية. صحيح أن وسائطهما تختلف: فالجندر يُمارس عبر تمثيلات ثقافية ولغوية تحدد الهوية والأدوار، بينما الإرهاب يعمل عبر صدمات عنيفة ورمزية تعيد تشكيل المخيال الجماعي؛ غير أن كليهما يشتركان في كونهما أدوات لإعادة إنتاج الهيمنة أو تفكيكها. وبهذا يصبح الربط بين الإرهاب والجندر مدخلاً لفهم أعمق لآليات السيطرة الرمزية في المجتمعات المعاصرة، حيث يتجاوز العنف حدوده المادية ليصبح خطاباً ومعنى يتغلغل في كل البنى الثقافية والاجتماعية.

4. الإرهاب والجندر كبنى رمزية للسلطة:

إذا كانت البنى الاجتماعية الحديثة تُعيد إنتاج السيطرة بوسائل تتجاوز العنف الصريح إلى آليات أكثر خفاءً، فإن النظر إلى الإرهاب والجندر لا كوقائع معزولة، بل كبنى رمزية متداخلة، يكشف عن تواطؤ عميق بين العنف المادي والعنف الرمزي. فكما الإرهاب يُستخدم لضبط الأجساد والجماعات عبر التهديد والإقصاء، يُستخدم الجندر لضبط الهويات والأدوار الاجتماعية من خلال التمثيلات الثقافية والمعايير الرمزية. وهنا يطرح السؤال الإشكالي: هل يمثل الجندر والإرهاب استراتيجيتين متكاملتين لإنتاج السلطة الرمزية داخل البنية الاجتماعية، أم أنّ التقاطع بينهما يظل مجرد تلازم عرضي يُعيد إنتاج أنماط متباينة من الهيمنة؟

1.4 الجندر والإرهاب - مقارنة رمزية للسلطة:

من خلال تحليلات ما بعد حدثية وفق نموذج بودريار وبوردو، يتضح أن الإرهاب لم يعد يتحدد فقط في الأحداث الدموية فحسب أو تمظهرات مادية من سلاح وحروب واقعية، بل عبر الرموز والخطابات والتصنيفات الاجتماعية. وفي هذا في هذا الإطار يظهر الجندر بوصفه أداة للهيمنة الرمزية

التي تُعيد إنتاج الأدوار الاجتماعية على نحو يبدو طبيعيًا. فما علاقة الإرهاب كصور رمزية بتمثيلات الجنود في صنع آلية سلطة رمزية؟

لقد بين ميشال فوكو أن السلطة لا تُمارَس فقط من خلال القمع أو القوانين، بل تتجلى أيضًا كبنية معرفية منتجة للخطابات والدوات، فإن فكرة السلطة لدى فوكو أخضعت لتطورات عديدة على مدى تأملاته (...) عندما أصبح تصويره للسلطة أقل قمعًا وأكثر إنتاجية.¹⁶

يتجلى هذا التحول من خلال مفاهيم مثل المايكرو-انضباطات والبيوسلطة، حيث يتم ضبط الجسد، ليس بالقوة الظاهرة، بل بالتطبيع والرقابة الرمزية وهو ما يجعل من مفهومي الجنود والإرهاب امتدادين لهذا الضبط، من خلال آليات ناعمة: الصورة، اللغة، التنميط، والمحاكاة.

من جهة أخرى يرى جان بودريار أنّ الإشكال لا يختصّ بتأويل فوكو نفسه للسلطة، بقدر ما يكمن في المنهج الجينيالوجي ذاته. إذ يبيّن أنّ الجينيالوجيا المستلهمة من نيتشه تنطلق من فرضية "كشف ما هو مُضمّر وإظهار ما هو ملتبس" بينما السلطة الما بعد حدثية تستند إلى آلية معاكسة وهي: "الافتراض الدائم بأنّ كلّ شيء أصبح معلوماً وشفافاً".

فكلما كشف الخطابُ الروابط الخفية للقوة، ازداد رسوخُ وهم الشفافية الكاملة، وهو ما يُعيد إنتاج السيطرة بوجهٍ جديد هكذا يقلب بودريار جينيالوجيا فوكو ضدّ نفسها، مُظهرًا أنّ "منطق الكشف" قد يُصبح هو نفسه أداة من أدوات الهيمنة.¹⁷

بالعودة إلى ثنائية الإرهاب والجنود في علاقتهما بالتحليل الرمزي للسلطة تكشف عن موقعهما كمعادلتين فاعلتين داخل النظام المهيمن، حيث يُعاد إنتاجهما في فضاء إعلامي يماثل ما يسميه جان بودريار بـ"الشفافية الزائدة"، أي ذلك الفيض الرمزي للصور والخطابات الذي يمارس قمعًا خفيًا عبر إعادة إنتاج الدلالات بصورة متكررة. ففي هذا السياق، لا يُنظر إلى الجنود ولا إلى الإرهاب كوقائع معزولة، بل كعلامات رمزية تتداولها البنى الاجتماعية والسياسية لتكريس السلطة أو تقويضها. فالجنود يمكن أن يُستثمر لإعادة إنتاج الهياكل البطيريركية وترسيخ أنماط الهيمنة، كما يمكن أن يتحول إلى أفق تفكيكي يُزعزع تلك البنى ويكشف هشاشتها. وبالمثل، فإن الإرهاب قد يعمل على إعادة إنتاج منطق القوة وتعزيز السيطرة عبر خطاب الخوف، لكنه قد يتجلى أيضًا كفعل رمزي مضاد يخلل استقرار المنظومة المهيمنة. وبهذا يصبح كلا المفهومين جزءًا من لعبة السلطة الرمزية التي تجمع بين الإخضاع والمقاومة.

يكشف تقاطع أطروحات فوكو وبودريار عن تحول جوهري في فهم آليات السلطة داخل المجتمعات المعاصرة. فإذا كان فوكو قد أظهر أن السلطة لا تُمارَس فقط بالقمع والقوانين، بل أيضًا عبر

المايكرو-انضباطات والبيوسلطة التي تُطَوِّع الجسد وتنتج الذوات من خلال الخطابات والمعايير، فإن بودريار يذهب أبعد من ذلك ليبين أن منطق الكشف ذاته قد يتحول إلى أداة هيمنة. فكلما سعى الخطاب إلى فضح علاقات القوة المخفية، ازداد رسوخ وهم الشفافية المطلقة، وهو ما يؤدي إلى إعادة إنتاج السيطرة في صورة أكثر خفاءً.

في ضوء هذا التداخل، يصبح كل من الإرهاب والجندر بنيات رمزية لا تُخْتزل في بعدها الواقعي أو البيولوجي، بل يُعاد إنتاجهما داخل فضاء إعلامي يمارس قمعاً خفياً عبر تكرار الصور والدلالات. فالجندر قد يُوظف لإعادة إنتاج البنى البطيريركية وترسيخ أنماط السيطرة، أو يتحول إلى أداة تفكيكية تكشف هشاشتها. وبالمثل، فإن الإرهاب يمكن أن يُعيد إنتاج منطق القوة والخوف، لكنه قد يعمل أيضاً كفعل رمزي يخلخل استقرار المنظومة المهيمنة.

من هنا يظهر أن العلاقة بين الجندر والإرهاب ليست مجرد تقاطع عرضي، بل تكشف عن تواطؤ عميق بين بنيات رمزية تُسَخَّر لإعادة إنتاج السلطة، وهو ما يمهد للحديث عن "تواطؤ البنى" حين يتحول الجندر نفسه إلى أداة إرهاب رمزي.

2.4 تواطؤ البنى: حين يتحوّل الجندر إلى أداة إرهاب رمزي

إن الجندر كبنية إجتماعية تصقل الأدوار والهويات لا يبقى حيادياً في إنتاجه للمعاني أو السلطة الرمزية لأنه يتحول إلى أداة ناعمة للعنف الرمزي أو القمع الرمزي، وظيفته تبلغ ذروتها حينما يكون الجندر آلية لتوليد تمثيلات استيعادية تُشرعن التهميش والإقصاء باسم الهوية أو الأخلاق أو الأمن العام. وهنا يلتقي الجندر بالإرهاب، لا من حيث الأسلوب، بل من حيث الوظيفة الرمزية في إعادة إنتاج النظام الاجتماعي.

بهذا المعنى، فإن تمثيلات الجندر والسلطة والمعرفة، حين تُقدّم كأنها كاشفة للواقع أو ناقدة له، قد تتحوّل في منطق المحاكاة كما هي في مفهومها عند بودريار إلى أشكال معقّدة من إعادة إنتاج الهيمنة نفسها، ولكن بلغة "شفافة" و"متحرّرة".¹⁸

والأمر ليس بغريب في البراكسيس اليومي حيث تظهر تمثيلات الجندر في السياقات المعاصرة ليست مجرد تعبير عن هوية أو دور اجتماعي، بل تغدو استراتيجية للإقصاء والتجريم خصوصاً في ارتباطه بالعنف، فمثلاً تستهلك الخطاب الإرهابية الصورة النمطية للمرأة أو الرجولة العنيفة باعتبارها "هوية مقاومة" تكشف عن توظيف الجندر كأداة ما بعد حدثية "إرهاب ناعم".

وهنا عين التواطؤ بين البنيتين إذ يُعاد إنتاج العنف باسم الدفاع عن الهوية أو حماية النظام الأخلاقي، سواء من خلال إرهاب فعلي أو خطاب جندي مقتنع بالعقلانية الاجتماعية. عندما يُنظر إلى الجندر والإرهاب كرموز، يُصبح من الممكن فهم كيف يتداخلان في بناء البنى الاجتماعية: الجماعات الإرهابية تُعيد توظيف الهويات الجندرية كأدوات رمزية لتوجيه رسائلها بمعية الإعلام الذي يعد الساحة التي يلتقي فيها الإرهاب والجندر كرموز. من خلال الصور والنصوص المتكررة، يُعيد الإعلام إنتاج الرموز الجندرية والإرهابية بطريقة تؤثر على الوعي الجمعي، مثل: تصوير المرأة الإرهابية كصورة استفزازية تُثير التساؤلات حول الأنوثة .

لذا لا يُفهم "الجندر" باعتباره مجرد تصنيف بيولوجي ثابت يقوم على ثنائية الجنس الطبيعي، بل تحوّل إلى بناء رمزي وثقافي يتجاوز المحددات الطبيعية ليشمل أبعادًا اجتماعية ومعنوية مرتبطة بالهوية. فهو لا يقتصر على توصيف الفوارق البيولوجية، بل يتداخل مع منظومات القيم والمعاني التي تنتجها الثقافة، ليغدو أداة رمزية لإعادة إنتاج علاقات السلطة أو تفكيكها. بهذا المعنى، يصبح الجندر عنصراً فاعلاً في صياغة السرديات حول القوة والهيمنة، كما في إعادة النظر في تمثيلات الضعف والأدوار الاجتماعية. وفي ظل تحولات العولمة وسلطة الإعلام الفائق، تتضاعف أهمية هذا المفهوم، إذ يكشف عن ديناميات خفية تعيد تشكيل الهوية الفردية والجماعية في عصر العولمة والإعلام الفائق.

5. خاتمة:

إن معالجة مفهومي الجندر والإرهاب من زاوية فلسفية رمزية، أظهر بما لا يدع مجالاً للشك أنّهما لا يختزلان في أبعاد بيولوجية أو مادية محضة، بل يتجاوزان هذه الحدود ليغدو كل منهما بنية رمزية تعمل داخل أنظمة السلطة والمعنى. لذا كان السؤال المركزي الذي انطلقنا منه هو:

هل يكرس الجندر والإرهاب البنى المهيمنة للسلطة، أم يفتحان أفقاً لتفكيكها؟

الإجابة التي قادتنا إليها نتائج البحث، مدعومة بتحليلات بتلر، بورديو وبودريار، هي أنّهما يمثلان معادلتين متناقضتين في الظاهر، لكنهما متكاملتان في العمق.

فالجندر، وفق رؤية بتلر، أداء اجتماعي سياسي يُدار عبر اللغة والخطاب، ما يجعله آلية تُعيد إنتاج البنى البطريركية أحياناً، لكنّه في الوقت ذاته يتيح إمكانية خلخلتها عبر إعادة تعريف الهوية والأدوار الاجتماعية. وهنا يظهر الجندر ليس فقط كتصنيف ثقافي، بل كفضاء للصراع الرمزي حول السلطة، حيث يتحول من "هوية ثابتة" إلى "ممارسة قابلة للتفاوض".

أما الإرهاب فينخرط في الفضاء الرمزي ذاته، لكن عبر منطق مغاير. فكما بيّن بودريار، لم يعد الإرهاب مجرد صراع أيديولوجي أو مواجهة عسكرية، بل أصبح حرب رموز تستهدف قلب منظومة الهيمنة

العالمية، عبر لعبته الكبرى: إنتاج صور صادمة وشفافية زائدة تُربك النظام الإعلامي والسياسي. وفي هذا المستوى، يتقاطع تحليل بورديو الذي يفسر الإرهاب كـ"عنف رمزي"، أي كقدرة على فرض أنماط إدراكية وقيمية عبر الاستحواذ على الخطاب والتمثيلات الثقافية.

من هذا التلاقي يمكننا القول:

إنَّ الجندر والإرهاب يتشاركان البنية الرمزية ذاتها التي تُعيد إنتاج السلطة وفي الوقت ذاته تمنح إمكاناً لتفكيكها. فالإرهاب يشتغل على تفجير الرموز السياسية والاقتصادية المهيمنة، بينما يعمل الجندر على خلخلة الرموز الاجتماعية والثقافية المرتبطة بالهوية والسلطة البطركية.

كلاهما إذن يندرج ضمن إستراتيجية رمزية تتجاوز حدود العنف المادي أو البيولوجي، لتعيد تشكيل موازين القوة على مستوى المعنى والتمثيلات.

وعليه من خلال النتائج السابقة يمكن صياغة مقارنة نظرية جديدة يمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

- مفهوم السلطة الرمزية المعوملة: حيث يشترك الجندر والإرهاب في كونهما أداتين لإعادة تشكيل الهياكل الاجتماعية والسياسية عبر السيطرة على الرموز والمعاني، لا عبر القوة المباشرة.

- جدلية إعادة الإنتاج/التفكيك: كلاهما يملك وجهًا مزدوجًا؛ فمن جهة يُعيدان إنتاج أنماط السلطة التقليدية، ومن جهة أخرى يفتحان إمكانيات جديدة لتقويضها.

- الإعلام كحاضنة رمزية: يشكل الفضاء الإعلامي الفائق (hypermedia) الساحة المركزية التي يُعاد فيها إنتاج رموز الجندر والإرهاب، بحيث يصبح الإعلام ذاته جزءًا من آليات السلطة والهيمنة، وأداة لنقل أو تشويه هذه الرموز.

أما على مستوى التوصيات البحثية، فيمكن اقتراح:

- تعميق الدراسات المقارنة بين الجندر والإرهاب من منظور فلسفة الرموز لفهم كيف تُدار علاقات السلطة في السياقات المعاصرة.

- استكشاف دور الإعلام الفائق في بناء الوعي الجمعي حول الظواهر الرمزية، وإعادة النظر في وظيفته ليس كمجرد ناقل للمعلومة بل كفاعل رمزي مهيمن.

- تطوير مقارنة نقدية للعنف الرمزي في أبعاده الثقافية والسياسية، بما يسمح بتجاوز القراءات السطحية للجندر والإرهاب.

- الانفتاح على مقاربات متعددة التخصصات (فلسفية، سوسيولوجية، أنثروبولوجية) لفهم ديناميات السلطة والهويات في زمن العوملة.

- وبذلك، نكون قد خلصنا إلى أن الجندر والإرهاب ليسا مجرد ظاهرتين معزولتين، بل يمثلان بنيتين رمزيتين متداخلتين تُعيدان تشكيل فضاء السلطة والهويات في عالم ما بعد الحداثة، حيث لم يعد الصراع قائما على السيطرة المباشرة أو العنف المادي الصريح، بل على التحكم في العلامات والرموز

والخطابات التي تؤطر وعينا الجمعي وتوجّه سلوكيات الأفراد داخل عالم معاصر تطغى عليه المحاكاة، وتُدار فيه السلطة عبر إنتاج المعنى أكثر مما تُمارَس بالقوة.

- وانطلاقاً من هذا المنظور، تفكيك العلاقة المعقدة بين الجنـدر بوصفه بناء رمزيا مشروطا بالسلطة، والإرهاب باعتباره نظام علامات يتجاوز الفعل العنيف إلى إنتاج دلالات الخوف والهيمنة والتمثيل. فالمقاربة الفلسفية الرمزية لا تنظر إلى الجنـدر أو الإرهاب كوقائع اجتماعية فحسب، بل كآليتين تعملان داخل شبكة الخطاب والسلطة، حيث يُعاد إنتاج الهويات، وتُشرعن أشكال جديدة من الإقصاء والمقاومة، في أفق ما بعد حدثي تتحول فيه المعاني إلى رهانات مركزية للصراع الرمزي.

6. الهوامش:

¹ Oxford University Press, Oxford Dictionary, Oxford University Press, New York, 4 ed, 2010, p. 183.

² l'Académie française, Dictionnaire de l'Académie française, éditions eBooksFrance, Paris, éd. 5, 1798, p. 1477.

³ Saintot, Bruno, Que'est-ce le genre? petite précis d'une notion large, Revue projet, 38, 6, 2019, p. 15.

⁴ Audi, Robert, The Cambridge Dictionary of Philadelphia, Cambridge University press, New York, 1999, p. 759.

⁵ Ibid, p. 342.

⁶ Philosophie Magazine, le illusion n'a jamais été aussi illusoire, Consulté le: Octobre 12 2024 sur <https://www.philomag.com/lexique/etudes-de-genre>.

⁷ Saintot Bruno, Que'est-ce le genre? petite précis d'une notion large, p. 16.

⁸ جوديث بتلر، قلق الجنـدر: النسوية وتخريب الهوية، ترجمة فتحي المسيكني، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، 2006، ص. 73.

⁹ أم الزين، بن شيخة، صخب المؤنث: نحو نسوية/بداعية، مؤسسة هنداي، لندن، 2023، ص. 73.

¹⁰ ميشال فوكو، تاريخ الجنسانية: إدارة العرفان، ترجمة هشام محمد، أفريقيا للنشر، المغرب، 2004، ص. 15.

¹¹ Alain Rey, Dictionnaire historique de la langue française: contenant les mots français en usage et quelques Autres délaissés, avec leur origine proche et lointaine, Le Robert, Paris, 2011, p.p. 9917-9918.

¹² Oxford, Oxford Dictionary, Oxford University Press, New York, 2019, p.1256.

¹³ بيار بورديو، التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول، ترجمة الحلوجي درويش، كنعان للدراسات والنشر، دمشق، طبعة 1، 2004، ص. 105.

¹⁴ جان بودريار، روح الإرهاب، ترجمة بدر الدين العردوكي، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2010، ص. 15.

¹⁵ مصدر نفسه، ص. 15.

¹⁶ Hamdi Nabli, Le concept de pouvoir. Histoire et sens de la controverse entre Michel Foucault et Jean Baudrillard, Hélène L'heuillet, Département de philosophie, Sorbonne Université, 7 octobre 2021, p. 44.

¹⁷ Ibid, p. 45.

¹⁸ Ibid, p. 129.